هجرة الرسل

للاستاذ عبد الوهاب النجار

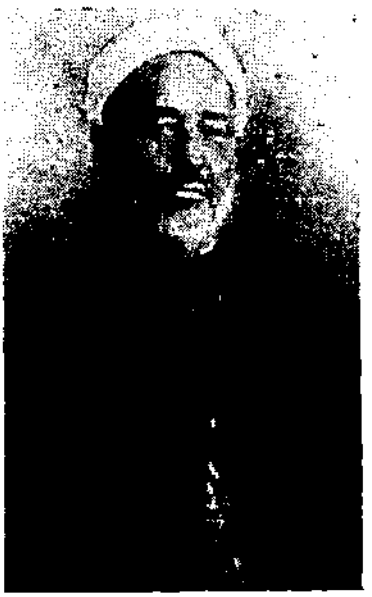

لقد قتل الناس مسألة الهجرة النبوية بحثاً وغاصوا فى أعماقها ، ولم يتركوا زاوية من زواياها الا أخرجوا خباياها ؛ فأنا لا أريد أن أكتب على غرار ما كتب من قبل فأعيد ما بدأه غيرى وأنا مولع بمعاداة المعادات

والذى أريد أن أكتب هو هجرة الأنبياء الذين عجزوا قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس بدعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام

أول الرسل الكرام هجرة هو نوح عليه السلام فكانت هجرته حياة له وهلاكا لأعدائه

دعا نوح قومه الى عبادة الله تعالى وترك عبادة غيره من الأصنام والأوثان وصار يفاديهم بالنصح ويراوحهم بالعظات ألف سنة الا خمسين ، وهم لا يزدادون منه الا بعداً ونفوراً الى أن ضاق صدره بما يلاقى منهم ، ولم يجد باباً لهدايتهم الا طرقه ، ولا منفذاً لنصحهم الا قصده ، ولم يجد قومه باباً للكفاية به الا ولجوه ، ولا منفذاً لأغاظته الا سلكوه . فتراهم يقولون له : (ما نراك الا بشراً مثلنا ؛ وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ؛ وما نرى لكم علينا من فضل ؛ بل نظنكم كاذبين) فهم يرون أن الرسالة لا تكون للبشر بل للملائكة ، والهداية لا يمكن أن ينالها الفقراء وذوو الأعواز ، ولكنها وقف على ذوى الوجاهة والقوة ، وأن الذى يريد الله أن يصطفيه إنما يكون من أهل الثراء والغنى ، ولقد رد عليهم نوح بقوله : إنه لا يسألهم على الهداية التى يزفها اليهم أجراً . فهو لا يجر بذلك لنفسه نفعاً ولا يحوز مالاً ، وانما يريد أجره من الله ، ولم يقل لهم إن عنده خزائن الله ليس عنده شىء من علم الغيب ، ولم يقل لهم إنه ملك ، ولا يقول للذين تزدرى أعينهم من أتباعه لن يؤتيهم الله خيراً وهو الهدى والاستقامة على الجادة ، وأن علم ما فى أنفسهم عند الله لا عنده الى أن ضاق بالقوم وضاقوا به . فقالوا له ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، ودعا نوح عليهم فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً » فأنبأه الله أن العذاب سيحل بهم ، وأمره ألا يخاطبه فيهم وأنهم مغرقون . وأوحى اليه أن يصنع الفلك لينجو بها من العذاب النازل بهم وليهاجر بها عنهم

صنع نوح الفلك وكان قومه يسخرون منه وهو يسخر منهم لغفلتهم عن أنفسهم وتفريطهم فى حياتهم وعيرهم بعدم اتباعه الى أن جاء أمر الله وفار التنور ، وتفجرت ينابيع الأرض ، وحلت عزاليها السماء ، وجاء الطوفان وأبادهم بعد أن نزل نوح والذين آمنوا معه فى السفينة ، وسلك فيها زوجين اثنين من كل ذى حياة ، وانتهت هجرته من الأرض بعد سنة وعشرة أيام بعد أن استقرت السفينة على الجودى . فكانت هجرته ميمونة عليه وعلى من معه فى السفينة وهلاكا لأعدائه

فنرى ونسمعُ صامتين كأننا ... لم نستمعْ وكأننا لم نشهد

فإذا تحمسنا مددنا نحوهم ... كفَّ الدعاء وغيرها لم نمدد

عذرا بنى أعمامنا ! أغلالنا ... قعدتْ بنا عن نجدة المستنجد

أعزز علينا أن نرى جيراننا ... يتخطفون ونحن مكتوفو اليد

* * *

من لى بجيل مستجدٍّ لم يرثْ ... إلا عنِ الجدِّ القديم الأبعد

يرثُ «ابنَ هند» فى أصالة رأيه ... أو «خالداً» فى عزمه المتوقد

لم يعتد الضيمَ الذى نعتادُهُ ... أهْوِنْ بكلِّ أذًى على المتعوِّد

إن قام يثبتُ حقَّه فدليله ... قصفُ المدافع أو صليلُ مهنَّد

لا خير فى حقٍّ يقالُ ومنطقٍ ... عذبٍ بحدِّ السيف غيرِ مؤيَّد

جيلٌ إذا سِيمَ الهوانَ أبى وإن ... يطلبْ إليه البذلُ لم يتردَّد

يهوى الحياة طليقةً ويعافُها ... ذلاً ويُدعى للفداء فيفتدى

كوم حماده

محمود غنيم

لوط عليه السلام

آمن بعمه ابراهيم واستجاب الى عبادة الله تعالى وهاجر مع عمه ابراهيم كما قال تعالى : « فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي » وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عثمان حين هاجر الى الحبشة ومعه زوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول مهاجر الى الله بأهله بعد لوط عثمان بن عفان

يعقوب عليه السلام

كان بينه وبين أخيه عيسو شيء من الخلاف ، فهاجر الى بلاد ما بين النهرين عند خاله لابان ، ومكث عند خاله يرعى عليه غنمه ، وتزوج من ابنتيه ليئة وراحيل ، ومن جاريتيهما زلفى وبلها ، ورزق منهن أولاده جميعا ، وكانت هجرته خيراً وبركة عليه ، فقد صار رب أسرة عظيمة كثيرة العدد ، وأموال وماشية كثيرة وعاد الى فلسطين بعد ذلك ، وولد له في هجرته جميع أولاده الا بنيامين

يوسف عليه السلام

هاجر مرغما حين ألقاه اخوته في غيابة الجب ، ثم التقطه بعض السيارة وأسروه بضاعة وباعوه في مصر بثمن بخس ، واشتراه عزيز مصر أو رئيس الشرطة بعاصمة الديار المصرية ، وهي مدينة صان في الشرقية ، ثم امتحن بامرأة العزيز التي راودته عن نفسه فاستعصم ، ثم بهته في وجهه واتهمته بأنه راودها عن نفسه « وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال » العزيز لها : « انه من كيدكن ؛ ان كيدكن عظيم » ، والتفت الى يوسف وقال له : « يوسف أعرض عن هذا » ، والتفت الى زوجه وقال : « استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين — الى أن بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » ، وفي السجن ظهرت آيات فضله ، وفسر لساقي الملك وخبازه منامهما ، وأوصى الذي ظن أنه ناج منهما أن يذكره عند ربه الملك فأنساه الشيطان ذكر ربه ، فلبث في السجن بضع سنين الى أن رأى الملك سبع بقرات سمان حسان يأكلهن سبع بقرات عجاف مهزولة ، وسبع سنبلات خضر غلبتهن سبع سنابل يابسات ، وحار العلماء والسحرة والعرافون في تفسير ذلك المنام فذكر الذي نجا من الفتيين شأن يوسف وتفسيره للمنام ؛ فاستأذن الملك وأتى الى يوسف واستفتاه فيما رآه الملك . ففسر له الرؤيا على وجهها ، وجاء الساقي وقص القصص على الملك ، وكان ما كان ، الى أن اصطفاه الملك لنفسه ، وجعله على خزائن الأرض ، ودبر أمر مصر الى أن جاء سبع سنوات مخصبة خزن فيها مازاد على الحاجة ؛ ثم جاء السنين المجدبة ففتح مخازن الادخار ، وأطعم الناس ، وجاء اخوته فداعبهم ودبر عليهم تدبيراً حتى جاءوه بأخيه بنيامين ، ثم عرفهم بنفسه وقال : « ائتوني بأهلكم أجمعين » فكانت هجرته القسرية وتغربه خيراً عليه وعلى أهله وعلى الناس أجمعين ؛ ولولا تدبير الله له وتدبيره لأمر الأغذية لهلك الناس

موسى عليه السلام — وهجرته

لا نريد أن نتكلم عن أولية موسى عليه السلام . وانما نقول إنه نشأ في بيت فرعون عزيز الجانب ؛ ولما بلغ مبلغ الرجال لم يخف عليه أنه دخيل في ذلك البيت وأنه من العنصر العبراني ؛ وعرف العبرانيون ذلك فاستعزوا به وانتفعوا بجاهه

وسار في المدينة يوماً على حين غفلة من أهلها فوجد رجلين يقتتلان أحدهما عبراني من شيعة موسى والثاني قبطي من عدوه ، فاستغاثه العبراني على القبطي ، فأغاثه موسى وعمد الى القبطي فوكزه فقضى عليه ، وهو لم يرد قتله ، وانما أراد كف عاديته عن العبراني ، ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها

لم يشاهد أحد هذه الحادثة سوى العبراني . وعاد موسى باللائمة على نفسه وقطع على نفسه عهداً ألا يكون ظهيراً للمجرمين

ظهر أمر القبطي ولم يعلم قاتله . فلما كان اليوم الثاني خرج موسى في مثل ذلك الوقت فوجد ذلك العبراني بنفسه في معركة مع قبطي آخر يريد أن يسخره وهو يأبى ، فاستغاثه كما استغاثه بالأمس فقال له موسى انك لغوي مبين . وأراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ويكف عاديته عنه . فظن العبراني أنه اياه أراد . فقال له : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ان تريد

إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ، وصالح القبطى واتخذ موسى خصما

حينئذ ظهر قاتل القبطى وهو موسى وانتهى الخبر الى فرعون فاجتمع ملأ فرعون وقومه على قتل موسى . فجاء اليه رجل من آل فرعون من أقصى المدينة يسعى وقال له إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، ونصح له بالخروج لينجو بنفسه فخرج من المدينة خائفاً يترقب قائلاً رب نجنى من القوم الظالمين

ولى وجهه شطر مَدْين على خليج العقبة . ولعلها كانت أقرب بلاد يجد فيها مأمنه لخروجها عن قبضة الحكومة المصرية — ولما كان خروجه على عجل لم يتروّ فى الأمر ولم يأخذ معه زاداً ولا ما يساعده على قطع المسافة من مطية ولا رفقة له فى هذا السفر الشاق ولا دليل لأنه انما يريد أن ينجو بخيط رقبته . فلما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل . فحقق الله تعالى أمنيته وبلغ ماء مدين بعد الجهد الشديد والجوع المضنى فوجد على الماء أمة من الناس يسقون ووجد امرأتين تذودان غنمهما عن الحوض ، فلم يعجبه أن يتقدم أولو القوة ويتأخر المرأتان فسألهما عن شأنهما . فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لأننا ليس بنا قوة على التقدم والمزاحمة ، وأبونا شيخ كبير لا يقدر على رعى ماشيته ولا سقياها . فنحى الرعاء بما بقى له من فضل قوة وسقى لهما ثم تولى الى الظل يشكو الى الله حاجته الى القوت وما به من مخمصة قائلاً : (رب إنى لما أنزلت الى من خير فقير)

أراد الله أن يكافئ موسى جزاء توكله عليه وفعله الخير ابتغاء وجه ربه فلم يلبث أن جاءته احدى المرأتين تمشى على استحياء حتى وقفت عليه وقالت له فى خفر : (إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)

لبى موسى الدعوة ؛ وجاء الى أبيها الشيخ وقص عليه قصصه . فقال له الشيخ لا تخف نجوت من القوم الظالمين

أرادت احدى بنتى الشيخ أن يقوم موسى عنهما برعى الماشية لأنه أقدر على ذلك لما رأته من قوته فى النزع بالدلو وأمانته اذ أخبرها وقال لها اسعى ورائى وانعتى لى الطريق ؛ فقالت لأبيها (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين)

نشط الشيخ لما أشارت به ابنته ، وطلب الى موسى أن يستأجره ثمانى حجج على أن يزوجه من احدى ابنتيه ؛ فاذا رضى أن يتم الثمانى عشرا كان ذلك على أن يكون بالخيار فى قضاء أحد الأجلين

تقول التوراة إنه بقى عنده الى أن كانت سنه ثمانين سنة ؛ والقرآن الكريم ليس فيه تحديد قاطع فى المدة التى أقامها

والمهم فى الأمر أنه لما قضى الأجل وصار حرا صادفه أن أبعد فى الرعى وضل الطريق فى ليلة مظلمة باردة ؛ وحاول أن يقدح نارا فصلد زنده ولم يور نارا ؛ وبعد لأى (آنس من جانب الطور نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو أجد على النار هدى) . فلما جاء الى النار نودى (يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ؛ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) وبعد حوار أرسله الله نذيرا الى فرعون وملئه لا خراج بنى اسرائيل ؛ فكان ما كان مما قصه القرآن من شأنه مع فرعون وشأنه مع بنى اسرائيل ؛ فكانت هجرته خيرا وبركة عليه وعلى بنى اسرائيل ؛ كما أجاب فرعون بقوله (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين)

هجرة داود عليه السلام

هو داود بن يسى من سبط يهوذا . كان له إخوة يحاربون الفلسطينيين مع طالوت الذى هو شاول أول ملك من ملوك بنى اسرائيل . وكان فى الفلسطينيين جندى جبار اسمه جالوت قد هابته الأبطال وتحامت الشجعان لقاءه خوف الهلاك

وكان لداود إخوة فى الحرب ؛ فأرسله أبوه بطعام لاخوته ولينظر حالهم ويعود الى أبيه بما يطمئنه عليهم . فبينما هو سائر الى اخوته نظر فى البرية الى أحجار ملس راقته فوضعها فى كنفه (الكنف كيس الراعى) ولما ذهب الى اخوته والحرب على قدم وساق نظر الى الفلسطينى وهو يعير بنى اسرائيل احجامهم عنه ، فاستشاط الفتى داود غضبا وسأل ما الذى يناله من قتل هذا الأغلف الفلسطينى . فأجيب بأن الملك يغنيه ويغدق عليه ويزوجه ابنته ويجعل بيته أكبر بيت فى اسرائيل . فذهب الى الملك واستأذنه فى لقاء جالوت فضن به الملك أن يقتل فى غير فائدة وهو صغير السن لا يقوى عليه . فقال له داود : إن عدك

(يعني نفسه) قتل أسدا تعرض لغنم أبي وقتل دبا أيضا . فأذن له وأعطاه لأمة حربه فلم يحسن داود الشي فيها فخلعها وذهب الى جالوت بمقلاعه وأحجاره . وقد هزأ منه جالوت ونصحه أن يعود من حيث أتى فلم يفعل ، ووقف قبالته ووضع حجرا من تلك الأحجار في المقلاع رماه به فارتز الحجر في جبهة جالوت وخر للبدين وللفم ، فأخذ داود سيف جالوت وفصل رأسه به وجاء به الى الملك وانهزم الفلسطينيون شر هزيمة

ولكن طالوت ضن على داود بابنته التي وعد أن يزوجها من قاتل جالوت وزوجه من ابنة له أخرى وقدمه على رؤساء جنده

تغير بعد ذلك طالوت لداود وعمل على اهلاكه بيد الأعداء خوفا من أن يوليه بنو اسرائيل الملك ، فكان يكلفه بالقدوم الى الحرب وكان داود يظفر دائما . فعمد الى اهلاكه بنفسه ، ونجا داود منه مرات وهو يتبعه في كل مكان ، وتمكن داود من قتل الملك مرات ولكنه لم يفعل ويخبره بتمكنه من قتله وأنه أبقى عليه ، فيندم الملك ثم يعاوده خوفه على الملك فيطارده الى أن خرج داود من ملك اسرائيل وأقام مع الفلسطينيين برضاء ملكهم الى أن قتل طالوت وابنه . فجاء الى قرية أربع وهي مدينة الخليل وبويع فيها بالملك . وكان لطالوت ولد بويع بالملك أيضا الى أن قتل ابن طالوت الملك وانفرد داود بالملك واشترى قلعة صهيون التي عند باب الخليل وسماها مدينة داود ، ثم اشترى جبل الموريا الذي عليه الحرم القدسي ومدينة أورشليم القديمة المعلومة اليوم بأسوارها وحدودها

وفي أواخر أيام داود ثار على الملك ولده ابشالوم وبايعه العدد العظيم من بني اسرائيل . ورحل داود الى شرق الأردن وجلس ابشالوم على كرسي الملك وحارب أباه فقتل أبشالوم وعاد داود الى مقر ملكه . فهاتان هجرتان لداود وكانت العاقبة له على خصومه فيهما

هجرة المسيح عليه السلام

أما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فله هجرة ليست كهجرة سائر الأنبياء الذين هاجروا من بلادهم

ذلك أنه لما ولد كان هناك مملك من قبل الرومان أخبر أن ملك اليهود ولد في بيت لحم ، فجد في قتل الأولاد الذين ولدوا في بيت لحم في تلك الأيام . فأمرت مريم بأن تهاجر بابنها ومعها خطيبها يوسف النجار فذهبت الى مصر وأقامت فيها مدة قيل إنها كانت سبع سنين أو أقل ، الى أن أمرت بالرجوع الى فلسطين ، لأن الذي كان يطلب نفس ولدها قد هلك ، فعادت

وهـــذه الهجرة نص عليها في انجيل متى وانجيل برنابا ولا وجود لها في سائر الأناجيل الثلاثة الأخرى المعروفة ؛ فهجرة المسيح كانت تابعة لهجرة أمه خوفاً عليه ولم تكن بارادته

محمد عليه السلام

من ذلك كله نرى أن محمداً لم يكن بدعا من الرسل الذين هاجروا من قبل ، فقد جاهد جهاد الأبطال في اذاعة دعوته بين الناس ، وقد أوذي في الله تعالى هو وأتباعه . حتى اذا لم يبق في قوس تصبرهم منزع سهل الله تعالى اسلام أهل المدينة فأقبلوا على الدين بمحض اختيارهم ، حتى اذا كثروا جاءوا اليه وبايعوه على النصرة ، فأذن لأصحابه في الهجرة وبقي هو وأبو بكر وعلي والمستضعفون . فلما مكر به كفار مكة ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه وصحت منهم العزيمة على ما بيتوا ، أمره الله تعالى بالهجرة (وكان أبو بكر يعد لها العدة) فامتثل الرسول أمر ربه وآذن أبا بكر بذلك ففرح وحاول أن يدعو صهيب بن سنان للسير معهما فلم يقدر له ذلك ، وخرجا الى غار ثور فأقاما به ثلاثا . وقد جهد كفار قريش في العثور عليهما فصرفهم الله عن ذلك ، وقد كانا منهم قاب قوسين أو أدنى ؛ ثم ذهبا الى المدينة بعد أن هدأ الطلب يدل بهما عبد الله بن اريقط وهو على شركه الى أن وردا قباء ثم المدينة هاربين بدينهما . فبدل الله خوف رسول الله والمؤمنين أمنا ، ومكن لهم في الأرض ، وأرى كفار قريش منهم ما كانوا يحذرون ، وأتم الله نعمته على أهل الاسلام ، مكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم الى أن مضى رسول الله لسبيله ، وقام خلفاؤه من بعده يحملون عبء تبليغ الرسالة والتمكين للدين ؛ وانتشر الاسلام شرقا وغربا ؛ وكانت الهجرة على رسول الله وعلى أمته خيرا وبركة كما كانت هجرة الأنبياء خيرا وبركة عليهم من قبل ؛ ولله عاقبة الأمور ؛ لا مبدل لكلماته ، ولا معقب لحكمه ؛ وهو العزيز الحكيم

عبد الوهاب النجار

(٥)